جامعة القديس يوسف

الطالبة: رويدا الغالي

المادّة: دراسة الشخصية المسرحية

مسرحية: "الطريق" لأغوتا كريستوف

إشراف: د. سوسن بو خالد

2020

منذ بداية مسرحيّة **"الطّريق"** تدعونا الكاتبة أغوتّا كريستوف إلى تخيّل حقبة بعيدة في المستقبل، حيث التغيّر المناخي والتصحّر أصبح حقيقة. حقبة أشبه ببدائية مستقبليّة.

فالأرض مغطّاة بالإسمنت بشكلٍ كاملٍ. لا يوجد سوى طرقات اسمنتيّة يمشي عليها النّاس على الأقدام راجلين. فالسيّارات معطّلة، تسمّى "ملاجئ".

الطّبيعة انتفت من المشهد. ونسي الإنسان أنّه جزءٌ منها، فأصبحت مجرّد أسطورة. أسطورة هي الشّمس، الشّجرة، النّجوم، الزّهرة، التّراب، العشب والغابات...

لا شيء سوى الطّريق. هي رحمٌ يولدون منه، يموتون على قارعتها. على الطّريق يمشون ويقتاتون من جيف بعضهم بعضا.

شخوصٌ قلقة، مضطربة. حياتهم مفارقات عبثيّة. يبحثون عن مخرجٍ، عن سعادة. ولكن ما من مخرج. فكلّ المخارج تؤدّي إلى طرقات أخرى لا بداية لها ولا نهاية. كلّ الإتّجاهات لا توصل إلى مكان. هم محكومٌ عليهم بالحركة. لا سكون. خطواتهم لا صدى لها، خرساء. بلا ماضٍ تأتي منه، بلا مستقبل تطوق إليه.

لما السّعي؟ والسّعي لا يشبع حلماً، لا ينشد أغنية، لا يلغي سلطةً أو تسلّط.

فراغ... حركة... فراغ... سكون.

أرضٌ، عالم، كوكب من الإسمنت. "ملاجئ" لا تُلجئ أحداً.

هل هذا حلمٌ أم كابوس أو حقيقة؟

المسرحيّة هي حلم "مصمّم الطّرقات" "ادمون الأسمنتي". حلم يتحوّل إلى كابوس ينتابه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، بعد تعرّضه لحادث سير على الطّريق السّريع.

فها هو الآن تائهاً وسط طرقات من الباطون ممتدّة هنا وهناك. يبحث عن وقود لسيّارته بعد أن نفذ منه. عطلٌ في الآلة. آلة بنى لها الطّرقات وأصبح تابعاً لها. واعتقد أنّه سيحقّق بها سعادته وتفوّقه...

فهل هو الآن على طريق اللّاعودة... كيف الخروج من هذا المأزق، من هذا العطل؟

حائراً يمشي، يتوقّف، يسقط مطرته ويجلس على قارعة الطّريق، أول من صادف وهو جالس، كانت **"المغنية"** المنفردة المشهورة، والتي التقى بها في الامس في الحفل المقام على شرفه لدى رئيس البلدية بعد قبول مشروعه في بناء جسورٍ وأنفاقٍ وطرقاتٍ جديدة.

"المغنية" دائما تتكلم غناءً، الا ما ندر. توقفت عن المشي لأنها ظنّته ميتا. فهي جائعة. كانت تأمل أن يكون وجبة لها. إلا انه عندما وقف اكتشفت أنه حي. تحاول أن تكمل طريقها. يستوقفها ليذكرها بنفسه وطالبا منها البقاء معه. هي لا تتعرف عليه. تتابع سيرها. دائما الى الأمام. تنصحه ألا يبحث عن مخرج. فكل اللافتات التي كتب عليها "مخرج" ليست الا حيلة وكذبا. وهي لا تؤدي الا الى طرقات أخرى.

تتابع سيرها وحيدة، - كما تحب – تاركة **" صاحب البزة الكاملة"** في حيرة من نفسه وهو يظن انها مجنونة ولا بد انها تعرضت لحادث أفقدها صوابها.

عند خروج "المغنية" يدخل رجل آخر. بعد برهة يتعرف عليه **"صاحب البزة الكاملة"**. إنه **"البستاني"** لدى رئيس البلدية، والذي التقاه بالأمس في حديقة الشتاء.

يقدم "صاحب البزة الكاملة" نفسه على أنه **إدمون الإسمنتي Edmond Dubéton**، مهندس جسور وسدود فاز بالمناقصة. الرجل لا يفقه شيئا مما يقوله "صاحب البزة الكاملة" ويعتبره كثير الكلام. بل ثرثار. شأنه شأن جميع من يسمّون نفسهم مثقفون. أما هو فلا يحب الكلام بل لا يجيد الا القليل منه: طريق... إسمنت... لحمة. فكل ما يهمه هو أن يمشي الى أن يجد ما يأكله. يصبح لدى إدمون قناعة أن "البستاني" تعرّض الى نفس حادث السير الذي تعرضت اليه المغنية مما أفقده ذاكرته.

يحاول "Dubéton"، عبر لعبة كلمات إعادة ذاكرة البستاني ولكن بلا طائل. حديقة، شجرة، أدغال، سرير، عشب وعصافير... كلها كلمات يجهلها "البستاني" فهي لا تعني له شيئا. حتى انه لا يجيد لفظها.

يغادر البستاني المكان ليعاود المشي بعد أن كان قد نفذ صبره من "صاحب البزة الكاملة".

تتوال دخول وخروج الشخصيات. فها هي **"فتاة راقصة"** تدخل فيفرح Dubéton بها فهي ابنة السيد رئيس البلدية الذي قرر بالأمس الزواج بها، لما فيه خير لمستقبله المهني. رغم عدم اعجابها به. تراقص الفتاة "صاحب البزة الكاملة" بطريقة مثيرة. هي لا تعرفه ولكنها ترغب في أخذه الى إحدى "السيارات الملاجئ" كي يمارسوا الحب هناك. بعد تردد "صاحب البزة الكاملة" يتبعها فيخرجان معا.

امرأتان تدخلان. شخصيتان نقيضتان. تتأرجحان بين الخفة والثقل، بين السعادة والحزن، البهجة والتعاسة.

"المرأة الحزينة"، وهي دائمة الحزن بطبيعة الحال، تتوق لإحساس وشعور لم تختبره يوما، وإنما سمعت عنه من امرأة عجوز، أخبرتها به امرأة أخرى وأخرى ثم أخرى من قبلها.
تخبر "المرأة الحزينة" **"المرأة السعيدة"** بكل ما سمعته عن الشمس والعشب والبيوت والغيوم والنجوم. من وقت لآخر، كما في باقي المشاهد، نسمع الvoix off معلقًا بحس تهكمي عما يقال. الناس كانوا يركبون الآليات بدل المشي، يتسمرون أمام التلفاز للتسلية.
"المرأة السعيدة" وهي دائمة السعادة بطبيعة الحال، تستمع باهتمام إلى ما تقوله "المرأة الحزينة". وقد زادتها تلك الحكايات سعادة، بالرغم من أنها تعتبرها مجرد أساطير.
أما الطريق بالنسبة لها هي الحياة الحركة المغامرة. وكما دخلتا، المرأتان تفترقان كل في اتجاه.

تدخل **"عجوزا"** وقد ثُقلت الأرض تحت قدميها المتعبتان. ترغب بالتوقف لترتاح. الا انها تخاف النوم... تخاف الموت. في نهاية الأمر تستسلم لتعبها فتجلس. يقترب منها **"رجل"**. يلمسها. تنتفض. تبرر تعبها. "لا شيء خطير". "الرجل" يجلس على بعد خطوات. ينتظر. وكطيور كاسرة يبدأ **"الرجال"** بالتجمّع

حولها متربصين اللحظة التي تموت فيها العجوز لينقضّوا عليها، وينهشوا هذا الجسد المترهل. ينتظرون. يفرغ صبرهم. أحد الرجال يقتلع عامود ويضرب به العجوز على رأسها من الخلف. تتهاوى. يهجمون. ليل. لوحة إعلانية " الشوكة فوق السكين".

في المشاهد التالية تتداخل الشخصيات وتتفاعل فيما بينها بشكل أوسع مما كانت عليه في المشاهد الأولى.

"الطفل" صبي شاب لا يريد أن يكبر. يبحث عن أم. أي أم تحمله. **"الأم"** ليست أمه بالأمس كان لها أبناء لكنهم رحلوا. في النهاية ترضخ. فتجاريه. يخرجون كثنائي: "الأم وابنها".

"العالم" يبحث عن المعرفة في الكتب التي يلملمها من أنقاض "السيارات الملاجئ". أقواله تخيف "الطفل" كما "الأم"، رغم انهم لا يفهمون شيء مما يقول. يميّز نفسه عن الآخرين بقدرته على القراءة "أنا أقرأ، أنا ذكي".

"الرسامة" بإصبعها ترسم على الطريق. ترسم أشكالا لا تعرفها وإنما تراءت لها في رأسها. لا أحد يراها.

بعد خروج "الأم" و"الطفل" يدخل **"عكس السير"**. فيثير حفيظة العالم والرسامة، إذ انه يمشي في الاتجاه الخطأ

"عكس السير لا يعترف ولا يتقيد بالقوانين. بالنسبة له، لا فواصل بين الطرقات. يمشي حيث يرغب، في أي مكان وفي أي اتجاه يريد.

يحاول "العالم" و"الرسامة" وضعه في الاتجاه الصحيح ولكن بلا طائل.

يتابع "عكس السير" سيره، سالكاً اتجاهًا معاكسا للطريق.

فجأة، ودون إنذار، **"وحوش"** تهجم على الناس. تبطش بهم بكل ما أُتيت من عنف وجنون وهمجية. تفتك بهم. تضربهم بكل ما توفر لها من قطع معدنية. تفككها من بقايا الآليات المعطلة، الراكنة كشاهد زور على حضارة فشلت الا من الارتقاء بالبدائية إلى أعنف درجاتها.

"الرسامة" تهرب. الناس يلوذون بالفرار. "العالم" يقتل. ترمى جثته تحت لوحة مضاءة "طريق مسدود". لهاث.

"شاب" و**"شابة"** يسيران على الطريق. كل واحد باتجاه. يبطآن الخطوات. يقرران اللقاء. يقرران الحب. الحب الرائع، الحب المؤلم. قلبان يطيران فوق الحاجز الفاصل للطريق. يعبران إلى الآخر. يتلامسان: شهوة تشتعل بقبلة طويلة.

نسمع صفيرا، تماما كما يحدث في دار سينما لدى عرض مثل هذه المشاهد الرومنسية مع خلفية لغروب الشمس. ولكن تلك الطرقات لا تعرف حرارة الشمس.

الطريق تعود لتفصلهم وتعيد تنظيم الحواجز. ترسلهم كلًا في اتجاه. "وداعا يا حب": أشبه بعنوان لفيلم سيء.

"مهندس الجسور والسدود" ما زال يمشي على الطريق. مرهق، ضائع في متاهات الطريق السريع، فهو ليس مصمم للمشاة. يجد انجيل "العالم" أرضا. يلتقطه ويقطع وعدا أمام الله: إذا ما اخرجه حيا من هنا، فلن يبني أي طريق بعد الآن ولا حتى شارعا صغيرا. هو مقتنع الآن انه يجب إنقاذ الطبيعة (المحيط الطبيعي للإنسان)، وأن **"البيئي"** على حق. لذلك سوف يعيد تدوير نفسه ويغيّر مهنته...

ربما يصبح بستاني.

كل ما يأمله هو حدوث "معجزة".

المعجزة تحدث: رقعة من الخضار وشجرة ترتفع وسط أكوامٍ من الإسمنت. رجلٌ يقف قرب الشّجرة. يتحدّث إلى أشخاصٍ يعتبرونه **"المجنون"** بسبب كلامه: "يجب تحطيم الإسمنت كي تختفي الطّريق والعالم يعود أخضر. هذا هو المنفذ الوحيد"

لقد ماتت المرأة التي أحبّها لم يشأ تركها فجلس بجانبها.

حين اكتشف شقّاً في الإسمنت سبّبته جذور حافظت على الحياة. كسر "المجنون" الإسمنت بقطعة حديدٍ، فوجد الأرض والتّراب.

هذه الرّقعة من الخضار وهذه الشجرة، هو المكان الذي دفن فيه حبيبته ليحميها من العابرين.

الناس لا يرغبون بشجرته ولا بثمارها. وحيداً يتابع تكسير الإسمنت. شعاع شمسٍ يضيء الشجرة.

يصل "صاحب البزّة الكاملة" قرب الشّجرة. لا يصدّق عينيه. معجزة. يرغب بلمس العشب. يمنعه "المجنون"، فهذه جنّته الخاصّة، وهي جنّةٌ محرّمةٌ عليه. هو ملعونٌ، محكومٌ عليه أن يسير حتّى نهاية الزّمن، على طريقٍ بالأمس كانت مشروعه وجنّته. اليوم هي جهنّمه ونهايته.

ليلٌ دامس، حادث، "Edmond Dubéton" خلف مقود سيّارته، شبه ميّت، يلفظ كلماته الأخيرة: "أريد أن أستيقظ... يجب أن أستيقظ"

هل يريد أن يستيقظ ليقهر الموت؟

هل هو نداء استغاثة أخير، دعوةٌ للانسانيّة إلى وجوب الاستيقاظ وإدراك خطئها قبل فوات الأوان؟

أم أننا قد تخطّينا خط النّهاية إلى **ما بعد النّهاية؟**

ما بعد النّهاية

الرّابح في مباراة جنوب-غربي، السيّد ادمون دبتون، المهندس القدير، قد فارق الحياة في حادث سير.

"لتخليد ذكراه، سيتم تنفيذ مشروعه العبقري بالكامل من دون أيّ تغير"، صرّح، متأثّراً، السيّد رئيس البلديّة.

عطل... عطل...

نفذ الوقود...

الطّرقات بأعلى كلفة

ما هو الاحتباس الحراري؟ أسبابه ونتائجه؟

الاحتباس الحراري هو احتفاظ الغلاف الجوي ببعض من طاقة الشمس لتدفئة الكرة الأرضية.

إذ تمتص الأرض أشعة الشمس ما فوق البنفسجية ثم تعيد إطلاقها في شكل أشعة ما تحت الحمراء لتسخين الأرض.

كما أن هناك أربع أنواع من الغازات الأساسية التي تساهم في عملية التسخين هذه. وهي تعرف بالغازات الدفيئة: بخار الماء، ثاني أوكسيد الكربون، الميثان، غاز النيتروجين، وهناك غيرها من الانبعاثات الغازية الطبيعية كالأوزون.

فمتوسط حرارة الأرض هو 14 درجة مئوية. ولولا عملية الاحتباس الحراري لكان متوسط الحرارة 19 درجة مئوية تحت الصفر.

اذن ما هي المشكلة؟

المشكلة هي في ازدياد وتضخّم هذه العملية والتي تؤدي الى التغيّر المناخي.

فمنذ بداية الثورة الصناعية ازداد معدل الانبعاثات الغازية الناجمة عن الانسان، لا سيما ثاني أوكسيد الكربون بشكل ملحوظ.

فالمجتمعات بدأت تعتمد على الآلة أكثر فأكثر، والتي تحتاج بدورها الى مزيد من الطاقة. هذا الطلب المتزايد على الطاقة يعني حرق مزيد من النفط والغاز والفحم. وبالتالي ارتفعت نسب الانبعاثات الغازية وبذلك نكون نحن كبشر ساهمنا في تضخيم الاحتباس الحراري في الغلاف الجوي.

ما تأثير هذا التضخّم في الاحتباس الحراري على كوكب الأرض؟

1 - الارتفاع في درجة حرارة البحار سيؤدي الى الحاق الضرر بالكائنات البحرية.

2 - ارتفاع مستوى البحار، بسبب ذوبان الكتل الجليدية الضخمة، سيشكل تهديدا للتجمعات السكنية الساحلية ولزراعتها. وجزر قد تغمرها المياه وتمحى من الوجود.

3 - التهديد لمخزون مياه الشرب سيرفع، في غضون خمسين عاما، عدد من يعاني من نقص في مياه الشرب الى ثمانية مليارات.

4 - قلة المياه ستؤثر على المزروعات بسبب تراجع خصوبة التربة وتغيّر أنماط تساقط المطر. مما سيضعنا امام عملية تصحّر قاسية.

5 - نتيجة للتصحّر ولارتفاع منسوب المياه سنشهد ارتفاعا كبيرا في وتيرة موجات الجفاف والفيضانات والعواصف.. وغيرها.

6 - ارتفاع درجة الحرارة سيهيئ الظروف الملائمة لانتشار الآفات والحشرات الناقلة للأمراض، كالبعوض الذي يحمل معه الملاريا.

اختيار شخصية

"المغنية": هذا اسمها. لا تعرف اسما غيره. طويلة القامة بشكل غير اعتيادي. طويلة جدا. هي ثلاثينية أو ربما تسعينية. يصعب معرفة عمرها. فكأنها أتت من مكان لا يقاس زمنه بالسنين.

ترتدي زيّا تتداخل فيه قطع من ملابس وكأنها جمّعت من عدة اشخاص.

ارتدتهم كحِملٍ يحمله جسدها الطويل المنحني، إلا عندما يغني. فبغنائها تنتصب قامتها. وجهتها السماء المكفهّرة. وعندما تسلك الطريق، يعود للجسد انحناءه تحت ثقل هذه الملابس.

أجساد في جسد: هي، وكل من فرقتها عنهم الطريق.

جسدان في جسد: جسدها الذي يسعى فينحني، وجسدها الذي يغني فينتصب.

أجساد لا تميّز بعضها عن بعض. كانفصالٍ وانفصام. تشبه ذاكرتها عن أبيها، أو ربما كان هذا الرجل زوجها؟ هل كان أخيها!! ذاكرة روّضها الألزهايمر. ضبابية كما السماء فوقها، رمادية كما الطريق أمامها.

أحيانا ترى نفسها طفلة تمشي في ممرات المشفى. تقف على باب سميك لغرفة أشبه بزنزانة عزل.

تطرق على الباب بقوة. أصوات ترد اليها من خلف هذا الباب الصلب. كلمات تصدم جدار جسدها... حرارة... حرارة... حرارة... هواء... حرارة... وباء... انبعاثات... تفشي... جنون... جنون... عشب.

الرؤى تختفي. تتابع سيرها وغنائها على طرقات تعرفها بلا مخارج. تستعين بصوتها، ترسله أبعد من خطواتها، فتسبق بذلك الطريق العقيم المفروض عليها.

الرؤى تعود.

امرأة في مصنعٍ تقف خلف آلةٍ كبيرة. صرير حديد مرتفع، أصوات تملأ الفضاء. حرارة حرارة.

الوجه مُحمر، ولكن بلا ملامح وبلا تفاصيل. حرارة. حرارة ...

عرفت المرأة من يديها الخشنتان. نعم، هي أمها بالتأكيد. ولكن لا يهم الآن. فقد نسيت تقارب الأجساد وملامسة الأيدي والجلد للجلد.

حدث ذلك في وقت مضى. ماضٍ كان حلما. بل كان حقيقة. ليست متأكدة. ولكن هذا لا يهم الآن فقد نسيت كل شيء. نسيت كل البدايات. حتى تلك الومضات التي كانت تأتيها من ذاك الزمن البعيد، بدأت تشيخ.

زمن كانت فيه ضمن مجموعة...

لا تعلم ما حدث حتى أصبحوا جميعا يمشون على الطرقات.

يحمل كل واحد جسده على أرجل بدأت تتعب.

الآن هي وحيدة على هذا الطريق.

هل تحمل جثثهم في جوفها؟ هل أصبحوا قوتا لها. وقودا لصوتها.

الوحدة هي كل ما تجيده. كل ما تَنْشده. وحدة تُنْشدها صوتا، غناءً، الى أن يحين وقت الجلوس على قارعة، أو الوقوف فوق جثة لفظها الطريق.